وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

-

كلية التربية – الاصمعي

قسم التاريخ

عقبة بن نافع الفهري

وفتوحاته في المغرب العربي

بحث تقدم به الطالبة

رؤى احمد عبد عون

الى قسم التاريخ في كلية التربية كجزء من متطلبات التخرج

بأشراف الدكتور

عاصم اسماعيل كنعان

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ))

صدق الله العظيم

سورة الاعراف الاية ﴿٧٤﴾

الاهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الايام وخلاصة مشوارنا ونعبر ان شاء الله الضفة الاخرى

الى منارة العلم والإمام المصطفى الذي علم المتعلمين الى سيد الخلق الى رسولنا الكريم محمد ﷺ واله وصحبه وسلم

الى ينبوع الحياة الى من سعى وشقى لأنعم بالراحة ابي وامي .

الباحثة

شكر وتقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطوتنا الاخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود الى اعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهوداً كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الامة من جديد

وقبل ان نمضي نقدم اسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة الى الذين حملوا اقدس رسالة في الحياة الى الذين مهدو لنا طريق العلم والمعرفة

الى جميع اساتذتنا الافاضل

ونخص بالشكر والتقدير قسم التاريخ في كلية التربية - الاصمعي لما ابدوه من جهود متميزة في الارتقاء في مسيرة العلم والاساتذة الاكفاء الذين وقفوا لمدة اربعة سنوات مليئة بالنجاح والموفقية

جزاهم الله خير الجزاء

ونخص بالشكر

الدكتور

عاصم اسماعيل كنعان

لقبوله بالإشراف على هذا البحث ولما ابداه من نصح ومشورة في اتمام البحث.

المحتويات

المبحث الاول
عقبة بن نافع ، حياته ، نشأته ، وفاته
المبحث الثاني
الفتح الإسلامي لبلاد المغرب
المبحث الثالث
انشاء مدينة القيروان
الخاتمة
المصادر

المبحث الاول

عقبة بن نافع ، حياته ، نشأته ، وفاته

عقبة بن نافع:

عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري (1 ق.هـ - 63 هـ) من القادة العرب والفاتحين لبلاد الله في صدر الإسلام. واشتهر تاريخيا باسم "فاتح إفريقية"، وهو الاسم العربي لشمال قارة أفريقيا.

نشأته:

ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعام واحد قبل الهجرة. وكان أبوه من أوائل المسلمين. وأمه من قبيلة عنزة من بني ربيعة بن عدنان بن إبراهيم عليه السلام، أي أنها من العدنانيون. ولذلك فقد ولد عقبة ونشأ في بيئة إسلامية خالصة، وهو صحابي بالمولد، لأنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يمت بصلة قرابة لعمرو بن العاص من ناحية الأم، وقيل أنهما ابني خالة.[1]

نبوغه:برز اسم عقبة مبكراً في ساحة أحداث حركة الفتح الإسلامي التي بدأت تتسع بقوة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث اشترك هو وأباه نافع في الجيش الذي توجه لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص، والذي توسم فيه خيرا وشأنا

(1) ابن الأثير، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت - ج ٢)، ص ٥٨

في حركة الفتح، فأرسله إلى بلاد النوبة لفتحها، فلاقى هناك مقاومة شرسة من النوبيين، ولكنه مهد السبيل أمام من جاء بعده لفتح البلاد، فأسند إليه مهمة قيادة دورية استطلاعية لدراسة إمكانية فتح الشمال الأفريقي، وتأمين الحدود الغربية والجنوبية لمصر ضد هجمات الروم وحلفائهم البربر. ثم شارك معه في المعارك التي دارت في أفريقيا (تونس حاليا)، فولاه عمرو برقة بعد فتحها، وعاد إلى مصر.

فتوحاته:ظل عقبة في منصبه كقائد للحامية ببرقة خلال عهدي عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهما، ونأى عن أحداث الفتنة التي وقعت بين المسلمين، وصب اهتمامه على الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام بين قبائل البربر ورد غزوات الروم، فلما استقرت الأمور عام 41 هـ وأصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين، أصبح معاوية بن حديج والياً على مصر، أرسل عقبة إلى الشمال الأفريقي في حملة جديدة لمواصلة الفتح الإسلامي الذي توقفت حركته أثناء الفتنة.

كانت هناك عدة بلاد قد خلعت طاعة المسلمين بعد اشتعال الفتنة بين المسلمين، منها ودان وأفريقية وجرمة وقصور خاوار، فحارب عقبة تلك القرى وأدبهم أشد تأديب، فقطع أذن ملك 'ودان' وأصبع ملك 'قصور كوار' حتى لا تسول لهم أنفسهم محاربة المسلمين مرة أخرى.

(١) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي (د. ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٥٨ - ٢

خلف معاوية عقبة أفريقية، وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فأوغل بهم في بلاد المغرب، حيث تغلغل في الصحراء بقوات قليلة وخفيفة لشن حرب عصابات خاطفة في أرض الصحراء الواسعة ضد القوات الرومية النظامية الكبيرة التي لا تستطيع مجاراة المسلمين في الحرب الصحراوية، واستطاع عقبة وجنوده أن يطهروا منطقة الشمال الأفريقي من الحاميات الرومية المختلفة والمقاومة البربرية المتناثرة. حتى أتى وادياً فأعجب بموقعه، وبنى به مدينته المشهورة وسماها القيروان أي محط الجند، ذلك أنها تعتبر قاعدة الجيش الإسلامي المتقدمة والواغلة في المغرب الكبير. كما بنى بها جامعاً لا يزال حتى الآن يعرف باسم جامع عقبة، وفي سنة 55 هـ عزله معاوية وولى بدلا منه أبو المهاجر بن دينار أفريقية، فعاد للمشرق.

بعد وفاة معاوية وفي خلافة ابنه يزيد أعاد عقبة مرة ثانية للولاية سنة 62 هـ، فولاه المغرب، فقصد عقبة القيروان، وخرج منها بجيش كثيف وغزا حصوناً ومدناً حتى وصل ساحل المحيط الأطلنطي، وتمكن من طرد البيزنطيين من مناطق واسعة من ساحل أفريقيا الشمالي.[1]

(1) أبو القاسم، محمد كرو علي، حصر القيروان، (ب م - ١٩٧٢م)، ص٩٦

وفاته: توفي عقبة في إحدى حروبه سنة 63 هـ في مكان يعرف حتى الآن باسم سيدي عقبة. بالجزائر في معركة مع الملكة الأمازيغية تيهيا المعروفة عند العرب بالكاهنة.

ومن أحفاد عقبة المشهورين يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري القرشي أحد القادة الدهاة وعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة مرة بن عقبة بن نافع الفهري .

المبحث الثاني

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

جاء الفتح العربي لبلاد المغرب بعد عدة محاولات استطلاعية ومنظمة هذه الأخيرة التي تولى قيادتها بن نافع الذي كان حلمه الأكبر هو تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب ونشر تعاليم الدين الإسلامي وقد كان الاستراتيجية الشاملة تأثير كبير في مواصلة لمسيرة الفتحات والتمكن من بلاد المغرب . فما هي هذه الاستراتيجية التي اتبعها عقبة بن نافع في فتحاته وكيف اثر في بلاد المغرب ؟ (1)

- وقد اخترنا هذا الموضوع لأسباب موضوعية وذاتية وهي .

الموضوعية : دراسة الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب من حيث ،كيفية واهم الحملات وأشهر المعارك والقادة العسكريين

الذاتية : البحث في بطولات عقبة بن نافع وإستراتيجية التي مكنته من تحويل أقاليم المغرب إلى بلد إسلامي ، والتي جعلت منه أسطورة خالدة

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أهمها على الاطلاع هو اختلاف آراء بعض المؤلفين حول مواضيع مثل :

اختيار عقبة موقع القيروان إضافة إلى تحديد للقبلة ودخول الأسطورة والقصص فيها.

أهم طرق الحملات ومطلقاتها والى أين وصلت والاستراتيجية المتبعة :

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص 19 . ابن خلدون ، يحيى بن محمد (ت 780 هـ / 1278 م) ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، 1980 ، ص 165 .

- ردود فعل سكان البلاد من دخول الجيوش الإسلامية الفاتحة في سير الفتحات وقد اتبعنا في بحثنا المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي .

- واعتمدنا فيه على مصادر ومراجع منها الكامل في التاريخ لابن الأثير وتاريخ المغرب وحضارته لحسين مؤنس وتاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال لـ سعد زغلول عبد الحميد .

المطلب الأول : المحاولات الأولى لفتح بلاد المغرب :

كانت البدايات الأولى لفتح المغرب مع مطلع القرن الأول الهجري ومن أهم هذه المحاولات :

1- محاولة عمرو بن العاص : فبعد أن أتم فتح مصرا والإسكندرية توجه إلى برقة ودخلها سنة 21 هـ وبعدها فتح طرابلس ولما دعته الحاجة إلى التوغل في جوف البلاد أرسل قائده عقبة بن نافع إلى غزان فيفتتحها وواصل زحفه إلى زويلة ولكن عملية الفتح توقفت بسبب رفض الخليفة لمواصلة الفتح قائلا. << لا إنها ليست بافريقية، ولكنها المغرفة غادرة مغدور بها، ليغزها احد ما بقيت حيا [1]

2- محاولة عبد الله بن سعد بن أبي السرح : عزل عمر بن العاص عن ولاية مصر بعد تولي عثمان بن عفان للخلافة ، وأسندت إلى عبد الله بن سعد بن أبي

[1] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، (د . ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2008 ، ص 58.

السرح الذي واصل المسيرة بإرسال حملات استطلاعية إلى أن إذن له الخليفة بافتتاح افريقية . فيستنفر الخليفة المسلمين وفتح مستودعات السلاح وجهز الجيش ويسره إلى أبي السرح وضم هذا الجيش العديد من القبائل العربية ونفر من الصحابة ، وأسندت القيادة إلى الحارث بن الحكم لحين وصوله إلى مصر حيث يستلم القيادة هناك ابن أبي السرح ، وحين وصوله إلى برقة التحقت الحامية العربية بقيادة عقبة بن نافع . سار الجيش إلى افريقية سنة 27 هـ حيث التقى المسلمون بجيش جرجير وقبل أن يحتدم القتال أرسل ابن أبي السرح إلى جرجير يدعوه إلى الإسلام أو أداء الجزية فامتنع فانتهت المعركة بهزيمة البيزنطيين وقتل جرجير ودخول الفاتحين سبيطلة ، وجاءت حملة ذات الصواري البحرية سنة 34 هـ آخر حملة قادها عبد الله بن أبي سرح وكانت نتيجتها انهزام البيزنطيين .[1]

3-حملة معاوية بن حديج : تم فصل ولاية المغرب عن مصر من طرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وأسندت ولايتها إلى معوية بن حديج وأوكلت إليه مواصلة الفتوح هناك . وأول حملة له كانت 45 هـ وقد جهز هذه الحملة الخليفة معاوية بن أبي سفيان ردا على استنجاد حاكم قرطاجة ، سار هذا الجيش مارا بمدينة طرابلس وضمت هذه الحملة مشاهير التابعيين والصحابة منهم عبد الملك بن مروان ، عبد الله

---

(1) انهلة شهاب احمد ، تاريخ المغرب العربي ، ط1 ، دار الفكر ، (عمان ، 2010)، ص 43

بن عمر بن الخطاب وغيرهم ، حيث استسلمت له المدينة وتابع سيره حتى دخل افريقية ونزل بجيشه عند << قمونية >> ثم رحل عنها إلى جبل يقال له القرن فيتخذ منه قاعدة عسكرية لجيشه وأرسل سرية لفتح << جلولاء>> وبعد فتحها افتتح مدينة << بنزرت >> وهكذا تمكن من طرد القوات البيزنطية من أهم القواعد الساحلية ولكن شانه شان القواد الفاتحين الذين سبقوه ، فقد عاد بجيشه إلى مصر سنة 47 هـ .[1]

المطلب الثاني : حملة عقبة بن نافع الأولى (50- 55هـ / 670-674 م):

تعد ولاية عقبة بن نافع على إفريقية حدا فاصلا بين الحملات الاستطلاعية والفتح المنظم للمغرب ، فجهود المسلمين في محاولاتهم الأولى كانت كلها تذهب سدى .

ولم يكن اختيار عقبة من طرف الخليفة اعتباطيا ، فقد كان لبقاء عقبة في برقة أكثر من ربع قرن ، وما قام به من حملات في عهد عمرو بن العاص لإخضاع قبائل البربر أثر كبير في تعرفه على تلك المنطقة وعلى طبيعة سكانها .

وكذلك برهنت على قدرته وكفاءته التي ترجمها لنا فتوحاته لكل من فزان وزويلة و أصبح بذلك ما بين برقة وزويلة ملكا للمسلمين وولي بذلك عقبة أميرا على برقة

---

(1) نقله شهاب احمد تاريخ المغرب العربي ص ٤٦

وظل مقيما بها ، وكانت هذه بداية جهاد عقبة بن نافع في بلاد المغرب ولكنه توقف عن حركته بسبب الفتنة في الدولة الإسلامية.

ليعود بعد عودة عمرو بن العاص واليا على مصر إلى مصر إلى استئناف الجهاد فافتح لوانة ومزانة سنة 41 وافتتح غدامس-سنة 42 وافتتح مواضع من بلاد السودان ، وودان سنة 43 .[1]

بعد وفاة عمرو بن العاص عاد إلى برقة واستقر بها . وبعد حملة معاوية بن حديج خرج إلى المغرب وذلك سنة 46هـ فنزل في مغدامش من سرت ولما بلغه أن أهل " ودان " فقضوا عهدهم سار إليها وافتتحها وسار إلى فزان التي كانت وراء هذا التمرد فدخلها صلحا حيث دعا أهلها إلى الإسلام فأسلموا ومضى فافتتح قصورها قصرا قصرا إلى أن انتهى إلى قصر كوار فافتتحها ثم عاد بعد ذلك إلى خوار. فباغت أهله بأن نزل بموضع صحراوي حتى يطمئن أهله ولكن العطش أصاب أصحابه فدعا عقبة ربه فأجابه فتدفقت المياه من موضع فرسه. ثم باغت أهل خوار واستولى على الحصن ثم عاد بعد ذلك إلى زويلة ومنها إلى معسكره بـ" سرت " التي خرج منها مغازيا متجها إلى قصور مزانة فغزاها ثم افتتح غدامس ، ووجه خيله بعد ذلك إلى

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، ص ١٠٧.

قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية إلى أن وصل إلى القيروان الذي كان معاوية بن حديج قد اختطفه.[1]

المطلب الثالث : حملة عقبة بن نافع الثانية (62-64 هـ/681-683 م)

عزل عقبة بن نافع عن ولايته لبلاد المغرب واستقر مكانه أبو المهاجر دينار عرف خلالها هذا الأخير بسياسة مغايرة لسياسة عقبة ولم تنتهي ولايته إلا بوفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ والذي خلفه ولده يزيد وبتوليه للخلافة قام بنصل ولاية المغرب عن ولاية مصر ، وجعلها مستقلة بذاتها ترتبط مباشرة بدار الخلافة ليعود إلى ولايته ويستقر بالقيروان وابتعد لحملته الكبرى التي كانت حلم حياته الأكبر.

اصطحب عقبة عشرة آلاف فارس من خيرة رجاله ، وترك على القيروان عمر بن علي القرشي مع سبعة آلاف مقاتل .سار عقبة غربا وكان أول مراحل حملته هي[2] :

الاستيلاء على باغاية والتي تعتبر من أهم المراكز العسكرية وكانت فيها حامية رومية انتصر عقبة عليها وحاصرها ولكنه لم يستولي عليها وترك الحصار و اتجه غربا إلى إقليم الزاب الفسيح الكبير وعاصمته المسيلة التي انهزم الروم فيها وبهذا

---

[1] القرطبي :أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن(،الطبعة الثالثة) . 1416هـ، 1996 م ، دار الحديث ، القاهرة.

[2] الرازي :زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ،) مختار الصحاح (بيروت ، لبنان ،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، 1994 م.

النصر أصبحت هذه الناحية مركزا ثانيا للقوة العربية بعد سهل إفريقية الشمالية الذي توجد به القيروان.

وإلى هذا الحين فالحرب دائرة بين البيزنطيين والعرب في حين وقف البربر على الحياد إلى أن شكل اقتحام العرب للأقاليم الداخلية تهديدا للبربر فاستغاثوا بالروم ووقفوا إلى جانبهم وعندما يصل عقبة إلى تيهرت يجد نفسه أمام مقاومة عنيفة رومية بربرية .[1]

وصل عقبة ومن معه إلى طنجة وحارب بربر المغرب الأقصى حتى وصل بلاد السوس ثم سار جنوبا حتى بلغ وادي درعا فبنى هناك جامعا رمزا على وصول الإسلام ثم دخل السوس الأقصى فأطاعته قبائل مصمودة واستولى على معسكر كبير للقبائل هناك وانحدر جنوبي سهل مراكش واحتل إجلينر السوس الأقصى واتجه غربا حتى وصل المحيط الأطلسي عند مرفأ يسمى "إيغيران يطوف" جنوبي وادي السوس من هذه المنطقة اتجه شمالا عبر وادي السوس مرة أخرى و بنى على ضفته رباطا تجمع إليه البربر.[2]

استرسل عقبة في فتوحاته وغفل عما كان يدور حوله من قبل أعدائه الروم والبربر الذين تركوه يواصل طريقه ويفقد رجاله وقواته شيئا فشيئا فلقي مقاومة شديدة

---

(1) زهلة شهاب احمد، تاريخ المغرب العربي، ص٦٤

(2) سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال،(ب.ط)،منشأة الناشر للمعارف،الإسكندرية ،1995ج1، ص90

في طريق العودة إلى طنجة .ففي شمال وادي "تنسيفت" تجمعت عليه قبائل مصمودية وحاصرته في جبال "درن"وقد ساعده الزناتيون في فك الحصار فانتصر كعادته وعندما دخل عقبة سهل "تهودة" وجدوا الأعداء في انتظارهم ولم يستطيعوا الانتصار على عشرات ألوف البربر والروم فنزل هو ورجاله وقاتلوا قتال الموت وعند تهودة في أواخر 64 هـ - 684 م استشهد عقبة ومعظم من معه استشهاد الأبطال ،فكان استشهاد عقبة هزيمة عسكرية ولكنه كان نصرا رائعا للإيمان.

المبحث الثالث

إنشاء مدينة القيروان

المطلب الأول: اختيار الموقع وأصل التسمية

لم يكن عقبة أول من فكر في بناء قاعدة المسلمين في افريقية ، فقد ذكر ابن الأثير أن معاوية بن حديج قد اختط القيروان بموضع يدعى القرن وأقام به مدة إقامته بافريقية واتخذها قاعدة عسكرية له.[1]

فبعد وقوف عقبة بن نافع على جهود معاوية بن حديج في بناءه لمعسكر القرن بدأ باختيار المكان المناسب لقيام أول مدينة عربية إسلامية بالمغرب يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم[2] فتذكر المصادر التاريخية أن عقبة خطب في عسكره فقال << إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام ، فإذا خرج منها من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر .

فأرى لكم يا معشر المسلمين إن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر[3] فرأى عقبة بذلك انه لا يمكن أن يثبتوا إقدامهم وينشروا الإسلام إلا بوجودهم المستمر بالمنطقة . فإنشاء مقر إسلامي وسط ولاية افريقية معناه تحول الولاية إلى بلد إسلامي أو جزء من دولة الإسلام – وقد كان العامل الديني السبب الأول الذي دفع عقبة إلى بناء مدينة القيروان وذلك حتى تكون مركزا لنشر الإسلام واللغة والثقافة بين سكان المغرب ، فاستقرار المسلمين بهذه المدينة يمنح للفاتحين فرصا

---

1 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج٤ ص ٢٢٠

2 نهلة شهاب احمد ، تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ٥٩

3موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط3،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، (د، ث) ، ص 29

كثيرة في سبيل بث الدعوة الإسلامية ، ونشر مبادئها وأصولها . كما لعب العامل العسكري أهمية بالغة فالهدف من وجود هذه المدينة هو جعلها معقلا حصينا لحماية الجيش الإسلامي ، والاحتماء بها في حالة اضطرارهم إلى التراجع والانسحاب ، واستخدامها كقاعدة عسكرية لانطلاق الجيوش في فتحات جديدة وجعلها مأوى لهم في حالة انتهاء المعارك للاستراحة وتضميد الجرحى وإعادة تنظيم صفوف الجيش [1].

وبعد بحث وتفتيش وقع اختيار عقبة على موضع المدينة الجديدة حيث اتخذ موقعا وسطا بين الساحل والهضبة الوسطى حتى يا من هجمات الأسطول البيزنطي من الجهة البحرية ، ويتجنب أي تحرك من جانب قبائل البربر من جهة الداخل ، وفي نفس الوقت منطقة تقرب من المراعي لتتمكن الإبل من الرعي بأمان .

- وقد كان موضع المدينة الحالية منطقة مليئة بالغابات كثيرة الأشجار والوحوش مأوى لأنواع من الحيوانات والزواحف ، فركز عقبة رمحه في الأرض وقال لأصحابه : // هذا قيروانكم // فشرع الناس في عملية التنظيف وقطع الأشجار للاستفادة منها في البناء وحرق الأعشاب وتسوية الأرض حتى تكون صالحة للتخطيط والبناء .

- ويذكر ابن لأثير أن عقبة دعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادا // أيتها الحيات والسباع أن أصحاب الرسولصلى الله عليه وسلم

---

1 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج٤ ص ٢٦٠

ارحلوا عنا فانا نازلون فمن وجدناه بعد ذلك قتلناه .فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتهرب //

فبدا إنشاء هذه المدينة ما بين سنتي << 50 هـ 55 هـ >> وقدرة مساحتها بثلاث آلاف وستمائة باع أي ما يعادل خمسة آلاف وثمانمائة متر مربع .

أما عن أصل مدينة القيروان فقد اختلف أهل اللغة في تحديد مدلول كلمة قيروان ، فقيل هي : موضع اجتماع الجند ، وقيل مخزن المؤن والأثقال ، وقيل هي الجيش نفسه. [1]

المطلب الثاني : تأسيس المسجد الجامع ودار الإمارة

كعادة العرب والمسلمين الفاتحين في بناء المدن وانه وبعد تنقية موضع المدينة لقد شرع عقبة بن نافع في اختطاط دار الإمارة والمسجد الجامع ولعل ما حمل عقبة على اختيار موقع المسجد هو وجود بئر عذبا في المكان تدعى (بئر أم عياض) وذلك لتسيير الوضوء والشراب[2] .

أما ما شغل عقبة بن نافع لأيام هو تحديد القبلة وضبطها باعتباره أول المساجد الجامعة في هذا القطر ، حيث بقى المسلمون أياما يراقبون مطالب الشمس ومغاربها.

---

(1) أبو القاسم محمد كرو ، عصر القيروان ، ص ٧٨

2موسى لقبال ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ٢٦

وقد ارتبط تركيز القبلة على يدي عقبة بما يشبه الأساطير حيث أن بعض النصوص تروي أن عقبة ، وهو في منامه ، أتاه آت ،وأمره أن يضع لواءه على كتفه إذا أصبح ، ويسير فانه يسمع تكبيرا لا يسمعه احد غيره . فحيث يقع التكبير فهو المكان الصحيح للمحراب[1] .

وما إن تم تركيز القبلة للمسجد حتى بدا المسلمين في بناء الجامع وفي تشييد دورهم ومساكنهم ومساجدهم بالقيروان

_ فإلى جانب الجامع أنشئت دار الإمارة ،وبينها يبدأ الشارع الرئيسي للقيروان الذي يسمى(الشماط الأعظم)، ثم ترك عقبة فراغا حول المسجد ودار الإمارة في هيئة دائرة واسعة .ثم قسمت الأرض خارج الدائرة إلى خطط للقبائل وترك امتداد الشنطاط الأعظم خاليا من خطط القبائل ليكون استمرار للشارع الرئيسي في الاتجاهين إلى نهاية المدينة[2]

المطلب الثالث : أهمية مدينة القيروان

لقد كان لقيام القيروان أهمية بالغة في تاريخ افريقية الإسلامية لأنها أصبحت نواة لولاية جديدة هي ولاية المغرب ، حيث شكلت منارة للثقافة والمعرفة ومقرا لولاة المسلمين . وقد بقيت زاخرة عامرة بالعلماء والزهاد منذ أن أنشئت إلى أن توسعت

(1) موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ج1، ص267

(2)حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضاراته ، ط 1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، لبنان ، 1992 ، م ج 1 ، ج 1 ، ص88

ونمت في عهد ولاة افريقية . فحسان بن النعمان جدد بناء مسجدها وزاد في عمرانها بما إقامة من مصالح حكومية وموسى بن النصير الذي اهتم بتوسعها وانشأ فيها (دار الغرب) لمسك النقود وهو أول من ضربها في منطقة افريقية ، ويزيد بن حاتم المهلبي أصلح القيروان ورتب أسواقها وجعل لكل صناعة مكانا [1] .

وما ا ناضلها القرن الثاني ، حتى أضحت مصرا جامعا وحاضرة لولاية ممتازة وأم مدن افريقية الإسلامية ، فحققت نتائج باهرة فقد أقيل كثير من الأمازيغ على اعتناق الإسلام وجاوروا القاعدة الجديدة وطمئنت نفوس المسلمين وتسعة مناطق نفوذهم فبقيام القيروان صار لهم مجال حيوي للتوسع وأضحت لهم حقوق ثابتة في المنطقة وزالت عنهم العزلة ولعل ما يبرزها هوما قاله ابن الأثير<< ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هنالك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمئنوا على القيام فثبت الإسلام فيها .>> فمن هذه القاعدة انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح بقية أقاليم المغرب فمنها امتد سلطانهم إلى بقية أجزاء المغرب الأوسط والأقصى ووصل إلى السودان وعبر أوربا واستقر في الأندلس [2].

---

1 موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ت) ،ص 33

2ابن عابدين :محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي)حاشية ابن عابدين : المسماة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (د.م ، د .ن، 1900 م.ص ٢٢

الحياة الثقافية

أ – مراكزها :

كانت القيروان أولى المدن التى تأسست فى الإسلام ، وقد ظلت طيلة قرون عديدة مركز الإشعاع الثقافي الديني ، كما كانت عاصمة سياسية طيلة نفس المدة تقريبا ووصف ابن خلدون مدينة القيروان وكيفية تأسيسها فقال : " أختط عقبة القيروان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم ، وكان دور ثلاثة آلاف وستمائة باع . وتمت فى خمس سنين ".

ووصفها المقدسى فى القرن الرابع ، فقال : " كانت مصرا بهيا عظيما قد جمع إضداد الفواكه ، والسهل والجبل ، مع علم كثير ، لا ترى أرفق من أهلها ، ليس بينهم غير حنفى ومالكى مع ألفة عجيبة ، لا شغب بينهم ولا عصبية ، فهى مفخرة المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان . أرقى من نيسبور ، وأكبر من دمشق ، واجل من أصبهان ... بها جامع بموضع يسمى السماط الكبير ..... وهو أكبر من جامع ابن طولون بأعمدة من الرخام ومفروش بالرخام ".[1]

وإلى جانب القيروان كانت هناك مراكز ثانوية أخرى للثقافة والآداب ، وقد وصل بعضها إلى الدرجة الأولى فى فترات معينة من التاريخ مثل المهدية ، وتاهرت – عمالة وهران – وتلمسان ، وفاس .

---

(1) حسن حسين عبد الوهاب ، المتحف المدرسي ، (تونس – ١٢٢٠هـ) ، ص٨٨

وكانت القيروان ترسل إلى مختلف هذه المدن بعلمائها ، كلما تتلقى طلابا يدرسون فيها من جميع أنحاء المغرب العربى ، وقد كان دور القيروان الثقافى هذا قديما منذ عهد الأغالبة عندما أسست السيدة فاطمة أم البنين سنة 255 هـ 919 م جامع القرويين بمدينة فاس ليكون مسجدا للعبادة ومعهدا للعلم شأنه شأن جميع المساجد الكبرى فى العالم الإسلامي .

ب – أنواعها :

أشرنا فيما تقدم إلى الجهود التى بذلها العرب فى نشر الإسلام وتعليم العربية إلى البربر منذ زمن مبكر ومن هنا كانت العناية الأولى والإهتمام الأكبر متجهين خلال عصور التاريخ الماضية إلى العلوم الدينية . ولهذا أمتاز النشاط الثقافى فى بلاد المغرب عامة بكثرة الفقهاء والمحدثين ، كما أمتازت ثقافة المغرب الإسلامية بنقص واضح فى الفلسفة والعلوم العملية ، وإن كانت فى الواقع لم تحرم من عباقرة رفعوا شأنها إلى القمة فى هذه الميادين بالذات ، وترك كل واحد منهم طابعا بارزا جدا فى ميدان ما من ميادين الثقافة العربية فى المغرب ، بل فى العالم العربى كله ، فابن خلدون (732 – 808 هـ – 1332 – 1406 م) أرتقى بالتاريخ من السرد

والقصص الساذج إلى درجة العلم المفلسف ، وتعتبر مقدمته المشهورة فتحا جديدا فى هذا الميدان لم يسبق إليه ولم ينسج على منواله أحد من بعده فى العربية.(1)

ومنهم جمال الدين ابن منظور القفصى (630 – 711 هـ 1232 – 1311 م) صاحب معجم لسان العرب الذى يعتبر أكبر موسوعة فى مادة اللغة العربية .

وابن رشيق (385 – 456 هـ) صاحب العمدة التى تعتبر أول محاولة فى العربية وضعت أسس النقد الأدبى الصحيح .

وابن طفيل (592 هـ – 1185 م) صاحب قصة " حى بن يقطان " التى تعد أول قصة فلسفية كتبت بالعربية .

ومن هؤلاء الأعلام العباقرة نذكر الحصرى صاحب زهر الآداب الذى يعد من أضخم المصادر لتاريخ الأدب العربى .

وابن ظفر الذى هو أول من ألف فى أدب الأطفال .(1)

وابنا لجزار الذى تجاوزت شهرته فى الطب حدود العالم الإسلامى إلى أوروبا ، والذى كان إلى جانب علمه الواسع فى الطب والتاريخ يعطى كثيرا من وقته لمعالجة المرضى وعلى بن أبى الرجال الفلكى الشهير ، ومثله أحمد بن يوسف التفاشى القفصى الذى كانت كتبه معتمدة عند علماء الفلك بأوروبا إلى زمن متأخر .

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، (بيروت - ١٩٧٨م)، ص ٢٠٥

ولكن هؤلاء رغم أهمية أنتاجهم المبتكر كانوا قلة بالنسبة إلى الكثرة الغالبة من الفقهاء والمحدثين .

ومن أعلام الفقه الذين نبغوا وتركوا صدى قويا فى التفكير الدينى الإسلامى : أسد بن الفرات ، الذى تولى قضاء إفريقية فى عهد الأغالبة ، وقاد جيشهم لفتح صقلية حيث تمكن من الظفر بإنتصارات ساحقة وأستشهد قبل النصر الأخير . والإمام سحنون وابنه محمد وأبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى الملقب بـ " مالك الصغير " لشهرته وكثرة علمه بفقه مالك وعلى بن محمد القابسى صاحب الآراء القيمة فى التربية .(2)

كان العلماء فى هذا العصر يتحلون بكثير من الصفات الحقيقية للعلماء كحرية البحث والتسامح ، وبذل الجهد والمال وتحمل المشاق الكثيرة ، بما فى ذلك السفر الطويل فى سبيل العلم . ولوترك الأمر للعلم وحده أو للعلماء وحدهم لكان الشأن غير الذى نعرفه فى التاريخ ، ولكن السياسة وتعصب ذوى السلطان إلى مذاهب أو آراء معينة ، كل هذا كان يجر فى بعض الفترات محنا ونكبات على العلماء ، وبالتالى على العلم نفسه ، وقد لقى عدد من العلماء الإضطهاد والموت أحيانا بسبب شهوة الحكام هذه فى

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني ، التربية في رأي القابسي ، ص ١٢٠

فرض آرائهم ومذاهبهم على الشعب ، وقد قيل أن الفاطميين قتلوا من أجله علماء القيروان خمسة وثمانين عالما فى سنة 336 هـ وحدها !!

جـ – إمتدادها :

تعتبر صقلية أمتدادا ثقافيا لبلاد المغرب ، كما كانت أمتدادا سياسيا لها ، وهى مع بلاد المغرب والأندلس تكون جميعها وحدة ثقافية تميزت فى التراث الثقافى العربى الإسلامى العام بطابع خاص ورغم أن الأندلس بلغت شوطا أبعد وأوسع مما بلغته صقلية والمغرب فى الثقافة والحضارة حتى عدت بمثابة العراق فى الشرق وأعتبرت قرطبة كبغداد ، أى إنها منطقة إرتكاز وإشعاع فى بلاد المغرب كما هو الحال بالنسبة للعراق فى بلاد المشرق ، ورغم ذلك فإن الصلات والتفاعل كانا كاملين بين هذه الأقاليم الثلاثة لإمتزاج عناصر سكانها وكثرة الإتصال والإنتقال والعلاقات المتشابكة المختلفة .[1]

ولهذا تعد بلاد الأندلس وصقلية من حيث تراثها الثقافى بلادا مغربية ، خاصة وأن كثرة هائلة من سكانها النازحين إليها بعد الإسلام قد كانوا من أهل المغرب . ولا شك أن مساهمة هؤلاء كانت فعالة فى جملة التراث العربى الإسلامى ، كما كانت فعالة فى الفتح العسكرى ونشر الإسلام .

---

(1) حسن حسنى عبد الوهاب ، المقتبس المدرسى ، ص ٥

وهنا ينبغي أن نشير قبل استعراض الثقافة الأدبية المغربية ، إلى أهمية الدور الذى قامت به كل من صقلية والأندلس والذى فاق فى الأخيرة منه على الأخص حتى الدور الذى قام به المغرب وفى بعض الفنون أو ميادين الفكر نلاحظ سبقا وإبتكارا لم يصل إليهما الفكر أو الأدب العربى فى المشرق ، كفلسفة ابن رشد وفن الموشحات الذى أبتكر فى الأندلس وكذلك فأن صقلية قد لعبت دورا بارزا ، ليس فقط فى الثقافة العربية وعلاقتها ببلاد المغرب وأنما أيضا وعلى الأخص فى النهضة الأوروبية الحديثة ، والذى يعنينا هنا هو الدور الأول حيث أنجبت صقلية كثيرا من العلماء والمثقفين وأصبحت فى عصر إزدهارها المتفق فى الزمان تقريبا مع الإزدهار فى المغرب ، أصبحت فى عصرها هذا يضرب المثل بمثقفيها جودة وعلما ، فيقال " فلان تلقى علمه فى صقلية " وما يزال حيا إلى اليوم فى كلامنا العامى ما يؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقولون " الطبيب الصقلى " تعظيما للطبيب ا لماهر ، وتقديرا لعلو مقدرته ، ولا شك أن هذا منحدر من عصر الإزدهار الذى وصلت إليه صقلية .

ولعل من الأسباب التى جعلت بلاد المغرب العربى تزدهر ثقافتها الدينية وتنكمش ثقافتها العلمية والفلسفية بعض الشئ هو إستمرار الثورات والفتن مما جعل المجتمع لا يتمتع بفترة كافية من الإستقرار الذى لابد منه للنهوض والتقدم الحضارى والفكرى وكان من هذه الأسباب أيضا إنصراف المسؤولين ورجال الدول فى المغرب إلى تنمية

القوة العسكرية للمحافظة على مراكزهم أكثر من إنصرافهم إلى الإعتناء بالثقافة والفكر ، ونلاحظ هذا الإتجاه العسكرى منذ القرن الأول للهجرة حيث أستقر فى نهايته العرب بعض الأستقرار فوجهوا أهتمامهم فى الحال إلى إنشاء قوة بحرية لحماية السواحل وغزو الشواطئ الأوروبية وهكذا جلب حسان بن النعمان ألف عائلة من الأقباط المصريين المختصين بصناعة السفن والفنون البحرية وأنزلهم فى الثغور التونسية خاصة فى قرطاجنة فبنوا له أسطولا ظل يتعاظم شأنه حتى أستطاع بنو الأغلب أن يحتلوا به قسما كبيرا من إيطاليا الجنوبية وجزر البحر الأبيض المتوسط . وقد بقيت الأساطيل البحرية لدول المغرب قوة طيلة العصور الإسلامية ولعبت البحرية المغربية دورا هائلا فى تاريخ الملاحة العربية حربية وتجارية فى حوض البحر الأبيض المتوسط " الذى كان بحرا لاتينيا فأصبح بحرا عربيا حقيقيا ، وأصبحت العربية فى كل شواطئه لغة دولية للتجارة والعلم(1) " وعندما ضعفت وحدة المغرب السياسية وأقتسم حكمه ملوك الطوائف ضعفت البحرية المغربية كقوة دولية ولكنها بقيت خطيرة الشأن فى ميدان المغامرات والغارات الفردية أو ما يسمى " بالقرصنة " وقد أستطاع بعض المغامرين المغاربة أن يهددوا روما بالسقوط والفتح مرتين(1) وظلت قوة المغاربة البحرية مرهوبة إلى مطلع القرن الثامن عشر حيث كان لليبيا وللجزائر فى هذا العصر

---

(1) المعجزة العربية . ص من 66-67

(1) راجع (مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام

قوة بحرية هددت المواصلات التجارية وأضطرت بعض الدول الأوروبية وحتى الولايات المتحدة الأمريكية إلى دفع ضريبة سنوية مقابل سلامة قوافلها التجارية (1).

د – النهضة الأدبية :

كانت النهضة الأدبية ضعيفة ضئيلة فى أول الأمر لحداثة العربية فى هذه البلاد ثم أنتشرت بعد ذلك شيئا فشيئا بواسطة المعلمين المبعوثين من طرف الخلافة الأموية فى الشرق لتعليم العربية والدين والقرآن للبربر ، ونذكر هنا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسل بعثة مكونة من عشرة فقهاء حلوا بالقيروان فى مطلع القرن الثانى للهجرة ، وقد ذكرنا سابقا ما قام به هؤلاء وغيرهم من دور عظيم لنشر العربية والدين الإسلامى فى هذه البلاد . ولا ننس هنا ما قلناه سابقا من جعل العربية لغة الدولة الرسمية فى عهد حسان بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان الذى أمر بإحلال العربية محل جميع اللغات الأخرى فى أقاليم الدولة الأموية ، ولا شك أن لهذا كله أثره الفعال فى إنتشار العربية بين السكان وأهتمامهم بالأدب والثقافة العربية بوجه عام ومن الواضح أن مسائل الدين وعلومه كانت أسبق فى الإنتشار والإزدهار ولكن أنتشر معها أيضا القرآن والحديث فأدى أنتشارهما شيئا فشيئا إلى إنتشار اللغة العربية والأدب العربى وإزدادا مع الأيام تمكنا وإرتقاء وبدأ البربر يجدون فى دراسة اللغة

---

(1) راجع (دراسات فى التاريخ العربى) ص 139 - 146

والأدب العربيين مرتعا خصيبا للتعبير عن خلجات نفوسهم وللتأليف فى الفقه والحديث أول الأمر . وتطور كل ذلك مع توالى السنين وظهور أجيال جديدة نشأت نشأة عربية محضة وتلقت تعليما عربيا كاملا .

فتفتقت القرائح والأذهان وبدأ يظهر الشعراء والخطباء والكتاب . ويعد عهد الأغالبة هو عصر أزدهار الأدب العربى فى المغرب فقد ظهر فيه عدد من الأدباء يمكن أعتبارهم على قلتهم ممثلين لمظاهر نهضة أدبية ما زالت فى بدايتها . وكان عدد من الأمراء الأغالبة أنفسهم شعراء كإبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية وحفيده الأمير أبو العباس بن الأغلب .

ومن مشاهير شعراء العصر الأغلبى بكر بن حماد الزناتى فى القرن الثالث وقد نحى فى شعره منحى الزهد والتأمل وكان قد أرتحل إلى الشرق والتقى بأبى تمام ودعبل الخزاعى ثم عاد إلى القيروان .

أما القرن الرابع الهجرى الذى كان الحكم فيه بأيدى الفاطميين فقد أتسعت فيه النهضة الأدبية وبلغت شأوا بعيدا سواء فى كثرة الأدباء أو فى مدى ما وصلوا إليه من تفوق وبراعة فى فن القول شعره ونثره على السواء ومثلما رأينا العصر الأغلبى يبدأ بمؤسسة إبراهيم بن الأغلب نرى العصر الفاطمى يبدأ أيضا بمؤسسة عبيد الله المهدى المتوفى سنة 322 .

ومن الشعراء الكبار الذين يباهى بهم الشعر المغربى فى الدولة العبيدية الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسى ، وقد لقبا لأندلسى لأنه أقام بعض الوقت فى هذه البلاد أما أبوه فمن المهدية وقد لازم المعز لدين الله الفاطمى وأخلص له الود والمدح ، وكانت مكانته عنده كما كانت مكانة المتنبى عند سيف الدولة . وخلد وقائعه العظيمة فى أشعاره وأشاد بأسطوله العظيم .

وسنجد تفصيل ذلك فى ترجمة حياته أما ما يهمنا أن نذكره هنا ، فهو أن ابن هانئ قد غطى على جميع الشعراء المغاربة فى عصره وبزهم فى بلاط المعز وما أكثر أزدحامهم يومئذ على هذا البلاط ، كما غطى المتنبى وبز كل الشعراء فى بلاط سيف الدولة .

ومن علماء اللغة العربية فى هذا العصر نذكر أبا عبد الله محمد بن جعفر القيروانى وهو شيخ ابن رشيق وقد نقل عنه ابن رشيق فى كتابه العمدة كثيرا من دروسه ومحاضراته فى اللغة والأدب ومن هؤلاء أيضا أبو عبد الله الخشنى الضرير وهو أيضا من شيوخ ابن رشيق وقد قال عنه : أنه كان مشهورا بالنحو واللغة مفتقرا إليه فيهما بصيرا بغيرهما من العلوم ، كما كان شاعرا مطبوعا .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الأثير " الكامل في التاريخ " دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ج3
- أحمد نهلة شهاب " تاريخ المغرب العربي " ط1 ، دار الفكر ، عمان ،2010
- سالم السيد عبد العزيز " تاريخ المغرب في العصر الإسلامي" مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية2008 .
- عبد الحميد سعد زغلول" تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال " منشأة الناشر للمعارف ، الاسكندرية ، 1995، ج1 .
- مؤنس حسين " تاريخ المغرب وحضارته " ط1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، لبنان 1992 مج1 ،ج1.
- لقبال موسى " تاريخ المغرب الإسلامي" ط4 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر2011
- لقبال موسى " المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج" ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

- تاريخ الحضارة الاسلامية . ف . بارتولد . ترجمة حمزة طاهر . ط2 . القاهرة 1952

- القيروان . منجى الكعبى 1990

- عصر القيروان . أبو القاسم محمد كرو ، عبد الله شريط 1973

- بساط العقيق . حسن حسنى عبد الوهاب . تونس 1330هـ

- المنتخب المدرسى من الادب التونسى .حسن حسنى عبد الوهاب .ط2 القاهرة 1944

- المباحث : مجلة تونسية . دوريات 1944-1948

- المعجزة العربية . ماكس فانتاجو . ترجمة رمضان لاوند . بيروت 1954

- التربية فى رأى القابس . أحمد فؤاد الأهوانى